تعلمت من ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٧)

١٩/ ٧/ ١٤٣٦هـ

المعْلمُ السابع[١]: حِرصُه على تطبيق السنة في أموره كلها:

لم يكن شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلّمًا بقوله فحسب؛ بل كان يَقرن ذلك بالعمل، والحرص على تطبيق السُّنن وإن دقّت؛ فصار عالمًا ربانيًّا.

وأنت حين تقرأ له كلامًا في هذا الموضوع؛ فإنك تجد له وقعًا كبيرًا في نفسك؛ لعلمك أنه يطبّق ما يقول، ومن ذلك قوله: «العلم من دون تربية يكون ضررُه أكثر من نفْعه، لكن مع التربيـــة يكون العلم مؤديًا لنتيجته المقصـــودة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩]، هذه فائدة العلم؛ أن يكون الإنسان ربانيًّا، بمعنى مُرَبِّيًا لعِبادِ الله على شريعة الله»[٢].

(١) أشرتُ فيما ســبق إلى ســتة معالم مما تميزت بها شخصية شــيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي: (وضوح الهدف)، و(الثبات على المنهج والهدف الذي رســمه لنفســه)، و(العناية بالقرآن حفظًا وفهــمًا وعملًا)، و(حبّه لنشر العلم واغتنام الفرص لتبليغ الشريعة)، و(التثبت في النقل والحكم)، و(عنايته بالتحصيل العلمي لطلابه) وأتابع في هذا المقال ذِكر بعض تلكم المعالم.

(٢) انظر: كتاب (العلم) للعثيمين (ص١٨٥).

والأمثلة التي تُجلّي هذه الحقيقة كثيرة:

منها: أنه حينما يُقبل على المسجد ومعه أحدٌ يتحدث، فإنه عند دخوله المســجد يقدِّم اليمنى، ولا يترك دعاء الدخول، ولو كان ذلك الشخص يتحدث، وكذلك عند الخــروج، ولا أذكر أنني رأيتُه يدخل الصلاة من دون سِواك.

ومنهــا: أنه كان حريصًا على تنويع الســنن التــي وردت فيها بعض العبادات، كما في صفة التسبيح بعد الفرائض، وهو بذلك يترجم ما يقرره في دروســه في فوائد تنويع التطبيق: حفظ العلمُ، وتطبيق الســنة، وكسر الإلف الذي يُذْهبُ الاستحضار للأذكار.

ومنهــا: أنه كان يحرص على أداء الســنة الراتبة في بيتــه ما لم يَعرض عارض.

المعْلمُ الثامن: حرصه على الوقت:

وهذا شيءٌ مُجمَع عليه عند كل مَن عرَف شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد رأيتُ أثرَ هذا المسلك في بعض طلابه الذين نفع اللهُ بهم فيما بعد.

ومِن مظاهر هذه العنايــة بالوقت عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ترتيب وقته وجدولِه اليومــي، وضبطه لتوقيت الــدروس، ولعدد الأســئلة التي تَعرِض في الدرس، وقد كان غالبًا لا يســمح بأكثر من ثلاثة أســئلة عن الموضوع الواحد.

ومــن ذلك: عنايته بضبط المواعيد، وكان يربي طلابَه على ذلك، ومن ذلك ما حدّث به فضيلةُ أ. د. عبدالله الطيار: دعاني الشيخُ عام ١٤٠٣هـ

لتناول وجبــة الغداء، وقال لي: الموعد الســاعة الثانية ظهرًا، فحصل لي ظرفٌ جعلني لا أصل إلى الشــيخ إلا في الساعة الثانية وعشر دقائق، فلما وصلتُ وإذا بالشــيخ راكب الســيارة، فقلت: إلى أين يا شيخ؟! فقال: الأولاد عندكم، وتغدَّوا معهم، فقلت: يا شــيخ، عفا الله عنك، نحن لا نريد الغداء، وإنما نريدك أنت، فقال: هذه المرة سأعفو عنكم، ولكن المرة الثانية لا تتأخر[1].

ومــن مظاهر حرص الشــيخ على الوقت: أن فــترةَ ذهابِه من البيت إلى المســجد كانت عامرةً بقراءة حزبه من القرآن، ولم يكن يسمحُ لأحد بنقله في سيارته، وأما في طريق عودته من المسجد إلى البيت فلا تَسَل عن الاغتنام لهذه الدقائــق، فهي إما في الفتيا، أو تصحيح بعض الكتب التي تُفرّغ من الأشرطة[2]، فإن لم يوجد مستفتٍ أو مصحّح لكتاب؛ فإنه يلبي رغبةَ بعضِ الطلاب الذين يريدون من الشــيخ تعليقًا على بعض المتون المختــصرة، وأعرف أكثرَ مــن كتابٍ مطبوع في الســاحة هو من شرحه في أثناء الطريق! كتعليقه على كتاب (كشــف الشــبهات)، وتعليقه على (منظومة القواعد الفقهية) لشيخه السعدي، وللحديث صلةٌ إن شاء الله.

(١) مقال لفضيلة أ. د. عبدالله الطيار في جريدة (الجزيرة) ٢٠/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

(٢) وقد رأيت هذا بنفسي مرارًا.